رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين

وَطنٌ تدفّأ بالقَصيد

سماح ضيف الله المزين

وطنٌ تدفأ بالقصيد

سماح ضيف الله عبد المزين

وطنٌ تدفأ بالقصيد

قدَّم له

د . عبد الرحمن بن صالح العشماوي

من إصدارات
رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين
www.authors.ps
غزة . الرمال . دوار حيدر عبد الشافي . تفرع شارع الشهداء
تليفاكس: ٢٨٤٢٢٥٥ – ٨ – ٩٧٢+

وطن تدفأ بالقصيد

ديوان شعر

الطبعة الأولى ٢٠١١م

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة

تصميم الغلاف

م. أسامة حسن ثابت

اللوحات الداخلية

الفنانة/ هند محمود القطاوي

(صراخ الصمت | المساحات البيضاء)

تصوير فوتوغرافي

حسام هشام سالم

الصفّ الداخلي

حسام إبراهيم المحمد

المعالجة الفنية للرسومات الداخلية

أحمد ضيف الله المزين

رابطة الكُتَّاب والأُدَبَاء الفلسطينيينْ

تأسست الرابطة بموجب قانون الجمعيات الخيرية والهيئات الأهلية رقم (١) لسنة ٢٠١٠م ولائحته التنفيذية بترخيص رقم ٨١٥٠ ومقرها غزة ولها أن تنشئ فروعاً لها في أنحاء فلسطين.

الأهداف:

١. الدفاع عن حقوق الكتاب والأدباء وضمان حريتهم وكرامتهم.
٢. نشر الوعي الثقافي والارتقاء بالمشهد الأدبي في فلسطين.
٣. حماية الملكية الفكرية للإنتاج الثقافي للأعضاء.
٤. الاحتفاء بكبار الكتاب والأدباء ونشر إبداعاتهم.
٥. ترسيخ حرية التعبير والنشر بما لا يعارض الثوابت الدينية والوطنية.
٦. تهيئة مناخ ثقافي يتيح للمواهب المبدعة أن تتطور في جو من الحرية المسئولة.
٧. تعبئة الطاقات الفكرية والإبداعية لخدمة القضايا الوطنية.

الوسائل:

١. إقامة الفعاليات والأنشطة الثقافية (ندوات فكرية، أمسيات شعرية، مواسم ثقافية، مؤتمرات علمية، مسابقات أدبية، صالونات إبداعية)
٢. نشر النتاج الإبداعي للكتاب والأدباء المنتسبين للرابطة.
٣. طباعة النشرات والدوريات وإصدار مجلة ثقافية باسم الرابطة.
٤. تقوية الروابط الاجتماعية بين الأعضاء بالزيارات والرحلات.
٥. إنشاء موقع الكتروني للرابطة.

إهداء،

إلى..

وطنٍ يطوّقُ "خواصرَ" حلمي،

وتوطِّنُ حروفي روعَها في حناياه

...

مُقَدِّمَة

وطنٌ تدفّأ بالقصيدْ ..!

صفحات قادمةٌ من "**خان يونس**" من غزة الصامدة الصابرة المجاهدة، صفحاتٌ تفيضُ باليقين، والحبّ المتينِ، والحزنِ الدفين، والأملِ المشرق الذي يقفز فوق جدرانِ الغاصبين.

صفاتٌ تحملُ عنوان: "**وطنٌ تدفَّأَ بالقصيدِ**" لشاعرةٍ فلسطينية ولدت ونشأت في بيتِ المقدسِ وأكنافِ بيت المقدس، ومعنى ذلك أنها قد رافقت القضية منذ ولادتها، لعبت معها في مراتع الطفولة، وركضت معها في ميادين البطولة، ووصلت معها إلى قمة الصبر والصمود، في هذه الحالة المتأزمة من الحصار الشنيع.

صفحاتٌ تؤكدُ كثيراً من المعاني التي طرحتُها في دواويني عن فلسطين، ابتداءً بـ: "شموخ في زمنِ الانكسار"

ووصولاً إلى: "على قمم النصر" الذي ضمَّ عدداً من القصائدِ كتبتها أثناء الحرب الأخيرة على غزة.

نعم إن الشاعرة "**سماح المزين**" تؤكدُ أنَّ الثقة بالله والإيمان به والتعلَّق بنصره وتأييده دون سواه – سبحانه وتعالى- والوعي الكامل بحقيقةِ القضية، والإدراك الشامل لأبعاد السياسة الصهيونية الغادرةِ الغاشمة، مهما حاولت الدولةُ اليهوديةُ هي وحاضنتها "أمريكا" ومن ورائها دولُ الغربِ، ومن أمامها من العملاءِ العرب الذين باعوا ضمائرهم.

أقول: تؤكدُ أن الثقةَ باللهِ والإيمانَ به، والتعلقَ بنصره، والوعي الكامل بالقضية والإدراك الشامل لأبعادها، هي الأسلحة القوية التي تفتكُ بخطط الأعداء ومؤامراتهم.

وهذا هو الدورُ المنتظرُ من كل ذي موهبةٍ شعريةٍ أو نثريةٍ، في مرحلةِ الاضطراب التي تعيشها الأمة الإسلامية.

إن "**سماح المزين**" شاعرة قضية، تعرفُ رسالتها في الحياةِ بصفتها فتاة فلسطينية مسلمة، تعيش قضايا أمتها

الإسلامية عامة، وقضية فلسطين خاصة، وهي ترسمُ بذلكَ طريقاً واضحاً في ميادينِ الشعرِ المترامية الأطراف.

في الجانبِ الفنيّ عند الشاعرة "**سماح**" تألُّقٌ يسجَّلُ لها، وتُحمَدُ عليهِ من حيث الصورِ الفنية والعبارات المختارة الملائمة لأجواء القصائد النفسية.

ماذا أقول بعدَ هذا؟

أقول: تحية لفلسطينَ كلها، ولغزةَ الصابرة، ولهذا الصوت الشعريّ المناضل، صوت "**سماح المزيِّن**" زيَّنَ الله حياتها وحياةَ من يطَّلِعُ على ديوانِها بالإيمانِ واليقين.

بقلم/

د. عبد الرحمن بن صالح العشماوي

الرياض ١٥ / ٠٢ / ١٤٣١هـ

.:* لها تراتيلي *:.

فلسطين ،

صباحكِ أنتِ ...

فرحٌ غنزيٌّ

وإن كان مصلوباً .. على أسوار الحصار ،!

صباحُنا وطن

صباح الخير يا حبي...
صباح الوُدِّ والحب
صباح النورِ يا وطناً،
يقول الآه في غضبِ
بعيدٌ أنت عن عيني،
ولكن!
حبنا باقٍ
أيا وطني..
نهارك دافئ وحنون
وحبّك في الحشا مدفون
بآي الله ممزوجٌ،
بعطرِ الورد، والريحانِ والحنّون
تزينه ثمارُ التين، والعناب والزيتون

صباحُ مكانِكَ المحفورِ في قلبي
صباح الخير يا وطني
أيا جدي ويا لعبي
❁
صباح الشوق يأخذني،
إلى بلدي ويهتف بي
فتلقي الشمسُ أنواراً،
كمثل سلاسل الذهب
تداعبُ رملَ شاطئها،
ويصحو الشاطئ الغافي
بحضن عروسه الدافي
تعانقني روابيها،
وصحراها ووادِيها،
فتوقظ خافقي فيها
وتفتنني زهورُ الروض،

والأنهارُ إذْ يَجريْ
بها عذبٌ، زلالٌ، هادئٌ، صافٍ
فأنسى كلَّ تغريبي
وأنشقُ من نسائمها،
هواءَ البلدة الشافي
ألاقيها!
فتمطرني كلام اللوم،
والتأنيبِ، والعتب
أُقبِّلُها،
أُراضيها:
فِداكِ الكلُّ يا حُبِّي
كفاني ما ألاقي من عنا الحرمان، ذا حسبي
وأهمس في حناياها بتحنان:
صباح الخير يا حُبّي

صباح الحبّ مزيونٌ،
بأجمل رائق الأطياب
ويحملُ في ثناياه،
شذا الدفلى،
جنى النُّوَّار
لشعبك غزة الأحرار
لرام الله،
تغنَّى باسمها الأطيار
ونابُلسَ الجميلة روضة السُّمَار
وحيفا ثم يافا، فاتناتِ البحرِ، للأغوار
إليكَ أيا خليلَ الله، للرملة، وعكا تقهرُ الأشرار
إلى أنشودة العشاقِ، يا وطن الملايينِ
أبيتُ بخافقي حبٌّ، ونار البعدِ تكويني
يمرُّ ببابنا طيفٌ، به عطرُ الرياحينِ
وكلُّ الطبِّ قد أعيته، آهاتي وتسكيني

تهيمُ بحبها روحي، سواها ليسَ يعنيني
هواها بلسمٌ شافٍ، تُرى إلاهُ يشفيني؟
وكم ذا مرَّت الذكرى، لتسكنني، وتشقيني
وأرجو لحظة أخرى، بها صدراً تضميني
تغازلُ روحكِ الخجلى – مساءً – أنجمٌ، أقمار!
وهذا الحسنُ منك يغار، بلا سببِ
سوى أن الجمالَ غفا بطرفِ العِينِ، لم يغبِ
صباح الحسن، يسكن روعة الهدبِ
صباحك أنت يا حبي
صباح القدس والنقبِ
❁
صباح الخير والحبِّ
بقلب العاشق الصبِّ
صباح الصبرِ، صبرك أنت.. يا شعبي الفلسطيني
صباح المجد يملؤني،

أرى الأطفال قد رجموا،
بوابلِ صخرهم جُرذاً، عدوَّ الله والدينِ
صباح الثورة الكبرى،
تحقق كلَّ حلمٍ صاغه الأجدادُ،
تطردُ كلَّ صهيون
كذا التحريرُ والعودة،
بنو الإسلامِ، لا يرضون بالدونِ
لخير الحسنيين هفت قلوبهمُ،
فإمَّا، يرتقونَ إلى أعاليها
هم الشهداء تلقاهم، حواري الجنَّةِ العين
وإمَّا النصرَ قد أملوا،
بأمرٍ من إله الكونِ، بين الكاف والنونِ
صباح بُكائِكَ الممزوج بالطربِ
أيا شعباً... يذوب لوصفه قلمي، وكلُّ صحائف الكتبِ
ويعجزُ كلُّ ما في الشعرِ، أو في النثرِ، من أدبِ

وترقى أنت يا شعبي، جميع سلالم الرُّتبِ

❁

صباحُ الخيرِ والحبِّ لمن يهفو لها قلبيْ،

لهذي القبَّةِ الخضراء

لأنَّ صباحها حرٌّ، جريءٌ، طاهرٌ، وضَّاء

تزيِّنُ هامةَ الأقصى، وتعلوها بكلِّ إباء

وتحرسها بكلِّ الحبِّ، بضعُ مآذنٍ شمَّاء

تخطُّ على حوائطها، مناقبَ سادةٍ شرفاء

تفانوا كي يواسوا قلبها المحزونَ،

كانوا كالأماني، كالدواء

وقد ذاقوا لأجل هنائها مُرَّاً،

وكان المرُّ صنفَ عناء

وما نامت عيونهمُ،

ولا غمضت جفونهمُ

لأجل مدينةِ الإسراء

فأسهرَ ليلَهُم ذئبٌ، يحاولُ نهش طُهرِ القدسِ، طاغٍ،
حاقدٌ، مُذ جاء
وماتوا حول أسوارٍ، تحوطُ حبيبتي العصماء
وتحرس بِكْرَنَا العذراء
همُ ماتوا، ولكن ذكرهم باقٍ
فقد وهبوا لها الأمجاد، والحرية الحمراء
همُ ضحوا،
فما هانوا،
ولا لانوا،
ويحرق كلَّ من خانوا، لظى اللهبِ
صباحُ الخزيِ للجبناءِ، من عجَمٍ ومن عربِ
ستبقى في صدى الأزمانِ أغنيتي
بشوقٍ جارفٍ في الروح أبعثُها،
وسربُ حمائمٍ يعلو، وأنغامٌ لها أصداء
تسافرُ في قطارِ العمر، حتى تلتقي وطني

وتخبره بما قاسى، جريحُ القلب والبدنِ
طريحُ الداءِ والحزنِ...
تطمئنهُ: بأن الحبَّ لنْ يَبْلى
سيبقى في شغاف الروحِ يسكنها
صباحك أنت يا وطني،
صباح الخيرِ والحبِّ
صباحُ النَّصرِ من ربي،
صباحُ الودِّ والتحنان من قلبي...

القاهرة في:
٣٠ يولية ٢٠٠٤م

... والمتخاذلين
صرخة الصمت
الساحة البيضاء

قتلُ القَمَرْ

جهراً على وقع ارتطام البغض بالجدرِ المقامةِ
في مشارفِ نظرةِ الإشراقِ للوجهِ الحزينْ
رعدَ القياصرة الذين تنفسوا كره الوجود
وشوهوا وجهَ السنينْ
فُضحتْ تفاصيل التنكُّرِ، خلفَ أقبيةِ السلامِ
معاقلِ الحقد الدفينْ
قد حان يا أعلاج رمي جماركم
وكأن أكبرهم تنسم قبل حين
إذ نأى والكلُّ غافٍ عن غبارِ الصومعة
أنا قادم!
نادى فهز الجالسين
قالوا: فلا أهلا،
ولا حتى استراحوا حين أقدم حاملا سيجاره!

متقلداً وجه الصليب،
وعاقدا فوق الجبين علامةً
تسم المصارع إن رأى خصماً أحس بأن فيه رجاء نصرٍ أو أمل!
لكنه اليوم أتى،
سيجاره كالسمِّ يدفقُ من يديه
وتميمةُ السحرِ الذميمة أسدلت دهراً عليه
وقفَ اللعينُ أمامَ نبعِ الطهرِ.. شمَّر، وانتشى
نادى عليهم: أن إليَّ تقدموا... فتقدموا!
فتراه يشهق تارة.. يتضاعف الحقد المريب
وتراه يزفر تارة .. فترى عناقيد العداء تبلورت في ساعديه
وترى السماء وقد تفرق نجمها متثاقلا
ومرددا بعض الشتائم حين يخنقه السعال
وترى السواد ملبداً، وكأن في عمقِ السوادِ يقامُ كهفٌ أو تخبأُ محبرة!

وترى الغيومَ كأنها لا تنتهي، وتصاعدت فوق الغيوم الأغبرة

بدت الليالي من جمال مقفرة!

وتلبدت كبد السماء وأقفلت كلُّ الشقوق..

تمازجت بالدمِّ ألوانُ السوادِ، علا الصراخ،

ومع الصراخِ علا دخان

هل غابَ وجهُ الكونِ وابتسمَ الغريب؟

صاحت هنالك طفلة:

أبتاه... قد قتلوا القمر!

هذا دمه، والصوتُ يعلو والغبار

هذا الغبار بقيةُ القمرِ الحبيبِ

إليَّ أرسلها، وذابَ

غزة في ٢٩ ديسمبر ٢٠٠٨م

أنـَّـات صامتة

آهٍ أيا أغلى قمر!

يا من لأجلِ جماله، عشقت ليالينا السَّمَرْ

وتحلَّقت كلُّ النجومِ كما الدُّرَرْ

آهٍ أيا أغلى قمرْ!

نثروا الشرورَ بدربِه،

قتلوه! من يهَبُ الحياةَ لقلبِه؟

غرسوا بعمقِ قلوبنا، نصلَ الكدرْ

صاحتْ نجومُ الليلِ، هاتفةً بنا:

يا هؤلاء..

ظلموه قالوا: إنَّهُ من فرط شهوته انتحرْ!

ظُلِمَ القمرْ،

ضاعَ السَّمرْ،

وتهشَّمت أحلى الدُّرَرْ

ضجت دِماءُ الطُّهرِ هاتفة بنا: يا هؤلاء..

جاروا على جاري القمرْ

وتقاسموا ذنباً أمرّ

خبت الصور

تاهت على الدرب الفِكَر

وترددت نِعْمَ العِبَر

وهفت نِيَاطُ القلبِ، تهديهِ الأمل:

أفديكَ يا أغلى قمر

وترقرقت من مُقلَتي، قطراتُ دمعٍ كالجمان

وتأهَّبَت مني الضُّلوعُ للاحتضان

وسألتهم: كيفَ استترتُمْ حزنَهُ؟

قالوا قَدَر!

كذبوا فقد جرحوا القَمَر

قالوا: انتحَر

قالوا: استباحتهُ حلال

قالوا: حلالٌ، فاستزيدوهُ السِّفاح

واستباحوهُ المزيدَ، علا بنا صوتُ الصِّياح

❁

حدِّثْ أيا أغلى قمر

هل دامَ يوماً بؤسُنا؟

هل أخفت الشَّمسَ الغيوم!

أمْ قلَّعَت عاتي الرِّياح،

يوماً رواسي أرضِنا؟

هل غادرَ الطيْرُ الشَّجَر،

أم غابَ لحنُكِ يا جِراح؟

هل يخنُقُ القمَرَ القَتَام؟

أم بالرجا، رحلَ الأ لم؟

أوَ لم يغادِر ليلُنا، ويهلَّ بالنُّورِ الصَّباح!

حدِّثْ أيا أغلى قمر...

كلَّ الذينَ تلوَّثت أحداقُهم، نبراتُهم، أشواقُهم

هل يختفي صوتُ النُّواح؟

حدِّث أيا أنقى قمَرْ...

حدِّث عن الأملِ الذي باتت قلوبٌ تشتهيهِ، مُذ استبدَّ بها الأنين!

حدِّث... أزِلْ همَّ السنين

حدِّث... فقد زادَ الحنين

حدِّث... وقُل عينَ اليقين

حدِّث أيا أحلى قمر

هل بالفؤادِ محبةٌ أم جمرُ نارٍ يستَعِرْ؟

هتَفَت قلوبُ العاشِقين:

نفديكَ يا أحلى قمر

ذرَفَت دموعاً، كالمطر

نزفتْ دِماءً، كالنَّهَر

هتفَت هتافاً يشتعل:

لا عاشَ من مَنَعَ الأمل... أن ينتصِر

لا عاشَ من سرق النَّفائسَ والدُّرر

لا عاشَ من ظَلَمَ البراءةَ في الصِّغَر

لا عاش من قتلَ القَمَر

غزة: فبراير ٢٠٠٧م

النزوح إلى السماء

أوَّاهُ يا وطناً جريحا ما تلا يوماً تخاريفَ الترفْ
أواهُ يا عذراً يميعُ بلفظِه كبِدُ الحقيقةِ، إذ تلوَّن ليلُها بدمِ الشرفْ
وتخضَّبتُ شمسُ الكرامةِ يومَ قاتلُهَا اعترف..
أتُراكَ يا قمرَ السماءِ شهدَّتَ ما قد صارَ فيْ تلكَ الغرفْ...
أتُراكَ أعلنتْ التمرُّدَ والتصديْ للطُرفْ...
أم يا تُرى نجمُ الخديعةِ بالشذوذِ قد اتَّصَفْ!

❁

أوَّاهُ يا وطناً تتالت فوقَ نكبتهِ الجراحْ...
أتُرى يئنُّ فؤاد من يقسو عليه صدى النواح!
أتُرى يلوذُ بقبرهِ .. أم يرفضُ الفسقَ البواحْ؟
أتُرى ينام وقلبهُ .. مِزَقاً تقطِّعهُ الرماح؟
أتُرى يعيشُ مكبلاً... ويتوقُ قبضتهُ السلاحْ؟
هذيْ ارتشافةُ مثقلٍ بالكيدِ أرهقهُ النباحْ؟

بل إنها واللهُ يشهدُ، صرخةُ الدمِّ المباحْ
عافَ الردى، ومسيله، غطى تقاسيمَ البطاحْ
أفلا يرى هذا الغريبُ ، مصيبةَ العرضِ المتاح!

❁

أوَّاه يا وطناً تعالتْ فوقَ فرحته الدموع
أوَّاه يا حلماً تهاوتْ في زواياه الشموع
أوَّاه يا حزناً عميقاً تكتويْ منه الضلوعْ
أوَّاه يا ترتيلة خرساء لا تشفي الفؤادَ المطرقَ الشاكيْ الوَلُوعْ
أوَّاه يا نوماً يتوق لمقلتي.. فالعينُ فارقها الهجوعْ
أوَّاهُ يا قلباً تصدَّعَ واشتكت منه الصدوعْ
أوّاه يا أوَّاهُ... "ياما" قد نطقتُ بكِ
افتراقاً، وانعتاقاً، وانطلاقاً، واستباقاً
واشتهاءً، واستياءً، وانتحاءً، وارتقاءً
فانتحيتِ...
إيهٍ أيا أوَّاه صدقاً... لم تميليْ، لم تلبيْ، لم تقوليْ

ها أنا... لبيكَ يا وجعاً تفتقَ، إنيْ صوتُ الرجوعْ

إنّي هنا...

أقبِلْ بقلبكَ، وانفُثْ الشكوى هنا...

حباً أضمُّك، وانطَرِحْ، وأْمُر، وخذ حُلمَ السطوع!

❁

أواه يا وطنَ المنابرِ والمآذنِ والحداء...

هل يا ترى يكفيكَ أني أفتديكَ بمهجتيْ، يا موطنَاً عشقَ النقاء

هْل يا ترى يكفيك أنَّا نستقي منكَ الحياةَ، وفيكَ نمتهنُ الفداء

هلْ يا ترى يكفيكَ موجُ الحبِّ، شلالُ العطاء

يا أنتَ... وجهُ الشمسِ باتَ يغارُ من لونِ الدماء

يا أنتَ... روحُ الشمسِ خجلى، منكَ تسترقُ البهاء

يا أنتَ... من إلاَّك؟ فيضُ سنائهِ عمَّ السماء

ما تلكَ عزةُ وجهكَ الساميْ وما، بسماتُ جرحكَ

وامتعاضاتُ الأسى

يا نَوْحَ قلبِ الكونِ في صمتِ الظلام

يا قفرَ أُعطيةِ الحياةِ... وكحلَ عينيِّ الوئامْ

يا شامة فيْ وجهِ عذراءَ تهادتْ بينَ أزلام الفسوقِ، تُلملمُ العشقَ الحرام

يا بيضَ ريشات الحمام

زيتونةً أرخت جدائلها لتلتقط البقايا من أديمِ العشقِ أوقظه النداء

أواهُ يا أرواحَ طيرٍ صادها فسْقُ البشَرْ

يا أغنياتٍ صادرَتها لعنةٌ تلقي الشرر

يا قلبَ أمٍّ قد تمرَّغ بالترابِ، وما أصابَ الحبَّ شيءٌ من ضررْ

يا عالماً من أمنياتٍ، أحجياتٍ، أغنياتٍ ناطقاتْ

يا عالماً من زنبقاتٍ، باسقاتٍ، سامقاتٍ، رائقاتْ

يا عالماً من أعطياتٍ دافقات

يا عالماً من كائناتٍ كنَّ يوماً هانئات
لكنَّ غدراً طالهُنَّ،
وقدْ نزحنَ إلى السماء
أواهُ يا وطنَ الفداء!

غزة في٢٦ يناير ٢٠٠٩م

لوحة..لإعدامِ النقاء

ماما...

"لماذا تقفلينَ الباب في وجهِ الصور؟"

تتساءل الدمعات في خدَّيْ عُمَرْ...

إني أرى هذي التباريح الحزينةَ، حين يسَّاقطن في حجر الكدر

أتكون أمي من قست يوماً، وساعدت الكدر!

تلك الحبيبة لم تكن يوماً كتمثالٍ يصفِّدُ فرحةً تسري إلى قلبي فتفترشَ الحُجَر!

أرأيتَ يا "بابا" معطرةَ الجدائلِ، كيفَ تخفي عن عيوني صورةً حسناء حتى لا أرى وجهَ القمرْ!

❁

عذراً أيا **رامي** فقنديلٌ هناك على المنصة، فيهِ رسمكَ خلدوه!

عذريْ وسلوايَ الوحيدةُ، تلكَ نافذةُ البهاءِ يطلُّ منها الصبح في أرواحِ طفلينا، فتضحكُ بهجةُ الدنيا، ويضحكُ كل هذا الكونِ في وجهيهما حباً، ويبتهج النهار!

حتما ستحترقُ القصائدُ حينَ يحضنها **محمد**،

أو تناغيها **ليان**[1]:

ما بال "**بابا**" يا حبيبة لم يعد!

العفو يا مثقالَ حبِّ الكونِ، بتنا نفتديْ رؤياكَ في عمقِ المنام

ونلوِّنُ الوردَ المصفَّدَ في مفاتيح السماء

ونعدُّ واحدةً وواحدةً وأخرى...

ويحَ تلكَ النائية!

أوَّاه يا روح الشهيدِ مسافرة!

---

[1] **محمد وليان طفلا الشهيد رامي (طبيب في مستشفى الشفاء بمدينة غزة)**

"روحي" إليه وقبِّلي منه الجبين،

وحدثيه عن الغياب عن الحنين...

أوَّاه ما أقساه شلالُ الحنين، يصبُّ قهراً في عيونٍ غائرة

وخذي إليه تبتلاتِ ضلوعنا،

واستحلفيه الله ألفاً في المنامِ يزورنا،

يهدي الطريق لتمتماتٍ حائرة...

العفو يا **رامي** فقد شق البعادُ، تقلَّدَ النومُ العنادْ

العفوُ يا **رامي** ولازم روحَ ليلتنا السهادُ، وتاق للقلبِ

السعادُ، وما نسينا مبسمك**!**

العفو يا قبلات "بابا"

أنتِ يا ضحكات "بابا"

أنتِ يا همساتِ "بابا"

أنتِ يا دعواتِ "بابا"

حين تحضننا يداك، وحين يلفظها فمك**!**

العفو يا رامي، فقد سبق الرصاص إلى دمك...

ما كنت تحملُ غير روحِ ملائك الرحماتِ، والوجه المعطَّر بالنقاء...

أبداً تُطَعِّمُها ببسمةِ رائقٍ تهبُ الشفاء...

ما كنتَ تحملُ غيرَ قلبٍ أبيض النسمات...

العفو يا رامي، فقد نال اللئيم من البياضِ وأعدمك!

لن يكسر القلب المطأطئ سعدهُ، إلا ابتساماتُ الصغار

"أيناك"... أشعر فجأةً أني أراك!

وتعود أنت إلى هناك...

أتذكَّرُ الوعدَ المجيدَ قداسةً، وكرامةً، لذوي الشهيد

يا توأميْ، إني هنالكَ... أو هنا

فاستبشري **بشرايَ**، عند الله نجتمعُ الغداةَ وفي الجنانِ أقابلك

وبإذن خالقنا هناكَ أُكلِّمك

فأضمِّدُ الصورَ الجريحةَ، للنعيمِ أسلِّمُك!

الاثنين ٢٦ يناير ٢٠٠٩م

قالوا إنّ.. أرفض التلّ الكبير...
أرفض العيش بصمت...
ضمّة القصر المرير ...
حرام
لفارس اللحن ..
ينسكب الرثاء
مهداة إلى روح الشهيد || صهيب عبد العال

هــذي الســماءُ تلبَّــدت غيمــاً هطــلْ
الأرضُ نــاحَ جمالُهــا، والقفــرُ حــل
لــمَّا بغمضــةِ جفنهــا، رحــلَ البطــلْ
يا دهرُ سجل ما جرى، فالخطبُ جل

الصبحُ تلبس شمسه ثوب الخجلْ
والليــلُ يــأتي نائحــاً ســعداً أفــلْ
ســيظلُّ يبكــي فارســاً ســكن المقــلْ
"ياما" بعمــقِ هدوئــه غضــباً صــهلْ

إيــهٍ أيَــا نغمــاً تــردَدَ في بهــاءْ
ثــارتْ حُــروفي، أيُّهــا يصــفُ الســناءْ
في صــورةِ الوجــهِ المطــرَّزِ بالــدماءْ
أو وثبــةِ الأســدِ الــذي عشــقَ الفــداءْ

ســأظلّ أذكــرُ كلَّمَــا حــلَّ المســاءْ
خِــلاًّ تهــادى فــوق جبهتــه الضــياءْ
أبكــي ويخنــق زفرتــي وقــعُ الــبلاءْ
ويظــلّ يخفــي دمعتــيْ نــبضُ الحيــاءْ

إيــهٍ **صــهيبُ**[٢]... تبــدلتْ حُزنــاً أغانينــا
بتنــا ومــا بــاتَ النــدى ظــلاًّ يدانينــا
نامــت علــى زنــدِ الرَّجــا أحلامُنــا حِيْنــا
وإذا بأنيــابِ النَّــوى جهــراً تنادينــا

ويحــي، كــأنَّ بكاءنــا متفــرد فينــا
وكــأن شــهقاتِ الفنــا أمسَــتْ تناجينــا
وأمــام دفقــةِ طهــرِهِ صَــمَتتْ مراثينــا
عذراً صهيب حبيبنا، فالشوق يكويْنا

[٢] صهيب عبد العال، منشد وصاحب صوتٍ نديّ، ارتقى شهيداً في حربِ الفرقان.

يـا راحِـلاً لم يلتفـت... كـم نحتـذيكْ
تبكيـــك ألحـــانُ الفـــوارسِ[٣] ترتجيـــكْ
تحكيـــكَ كـــل حروفِنَـــا بـــلْ تفتـــديكْ
وهـــل الحـــروفُ إذا تمنَّـــت تجتبيـــكْ!

مسـكينةٌ كـلُّ القـوافي... لا تفيـكْ
حتى الجهادُ أيا حبيبُ، يهيمُ فيكْ
لكـنَّ حـوراً فـي قصـورٍ تبتغيـكْ
فارحـلْ أيـا أسـداً وسـافِر للمليـكْ

إيهٍ صهيبُ... ألا ترى هذي الجموعْ؟
تركـوا لذيـذ هـدوئهم، تركـوا الهجـوعْ!
أتـراكَ تشـعر حـزنَهم هـزَّ الضُـلوعْ؟
أتـرى لمحـتَ عيـونَهم، نهـرَ الـدموعْ؟

[٣] فرقة الفوارس الفنية التي كان الشهيد أحد أعضائها.

ترتيلــةُ الشــكوى تــئنّ بهــا الربــوعْ
وتــــئنّ أرواحٌ تهــــادتْ فـــي ولـــوعْ
"ياما" بثثت بصبرهم وعدَ الرجوعْ
واليــوم ترحــلُ تاركــاً عطــراً يضــوعْ

اليــومَ ترحــلُ يــا صــهيبُ إلى الجنــانْ
اليـــوم تمضـــي صـــامداً للامتحـــانْ
معــكَ ابتســامتُكَ الجميلــةُ والسِّــنَانْ
لمْ تختبــئ، لا لســتَ يــا خِلِّــيْ جبــانْ!

كــلّ المراثــي تنتحــيْ يقــفُ اللســانْ
حتــى الحــروفُ تثاقلــتْ عجــزَ البيــانْ
ســيظلُّ صــوتُك "ســلوَتي" مــرَّ الزمــانْ
وتظــلّ تســكنُ أنــتَ فــي أســمى مكــانْ

أصـــهيبُ نفســـيْ في الخفـــاءِ تـــؤزُّنيْ
حـــزنُ الربـــوعِ علـــى فراقِـــك هـــزنيْ
وأزالُ أمضـــــيْ للربـــــاطِ تلفـــــنيْ
ذكـــراكَ إذ "يامـــا" إليـــه أخـــذتنيْ

أصـــهيبُ أســـئلةُ الرفـــاقِ تهـــدُّنيْ
فقـدُ الحبيـبِ يقطِّـعُ القلـبَ الهنـيْ
فـابكيْ أيـا عَيْنـيْ صـهيبُ وأعلِنـيْ
أنـــي احتســـبتُ فراقَـــهُ للمـــوطنِ

غزة في:
الخميس ١ يناير ٢٠٠٩م

"أينَـاكَ" شيخي!

يـــا شـــيخ ذكرتـــك في أمســـي
وبكيتـــك واشـــتعلت نفْسِـــيْ

وطفقـــت أحـــادث مـــرآتي
هـــل بـــاعوا المِـــوْطنَ بـــالوكسِ

واشـــتدتْ أزمـــة بلـــدتنا
أحـــوالُ الـــدنيا في نحـــسِ

أطبـــقَ ليـــلُ الظلـــم علينـــا
لـــبِسَ الظـــالمُ ثـــوبَ دِمقـــسِ

مائـــدةٌ فيهـــا ألـــوانٌ
وأطايـــبُ تنطـــقُ بـــالأُنسِ

وُدَّاً للســـــــــارقِ نهـــــــــديها
والفقـــــرُ اســـــتوطنَ في الـــــنَّفسِ

في كـــــل صـــــباحٍ نـــــذكرُهُ
ويـــــذوبُ أخونـــــا في البـــــأسِ

❁

يـــا شـــيخُ رأيتـــك فـــي نـــومي
فارتعـــــدتْ أركـــــانُ الحـــــسِّ

حـــــورٌ وخيـــــامٌ وقصـــــورٌ
وأرائـــــكُ صُـــــفتْ للعُـــــرسِ

أدنـــو لأضـــمَّك يـــا شـــيخي
فرِحـــــاً توَّاقـــــاً للأمـــــسِ

تُعـــرضُ عنـــي كـــي تســـألَني:
مـــن مـــنكم فـــرَّطَ فـــي القـــدسِ؟

يحتـــرقُ فـــؤاديْ مـــن خجـــلٍ
يخـــتلطُ دخانـــاً مـــع نفَســـي

فالأمّـــــة تشـــــكو خـــــذلاناً
والقـــومُ تمـــادوا فـــي الـــرِّجسِ

ملهـــــاةُ الـــــدُّنيا تأخـــــذنا
ومآســـــينا تســـــكنُ رأســـــي

❁

يـــا شـــيخُ غفـــوتُ وأيقظـــني
صـــوت هـــو أَشـــبَهُ بـــالهمسِ

طفـــــلٌ يتلوهـــــا آيـــــاتٍ
ذكـــــرني وصـــــفك إذ تُمســـــي

يعلـــو صـــوت الطفـــل جمـــيلاً
ويرتـــــل معجـــــزةَ الكرسِـــــيْ

ويســـــــطر اسمـــــــك مفتخـــــــراً
في كـــــــلِّ تفاصـــــــيلِ الـــــــدرْسِ

فكـــــأني بـــــك تلقـــــي لومـــــاً
مـــــا ذنبُـــــكَ يـــــا أطهَـــــرَ غـــــرسِ

هـــــل أجـــــرم أبنـــــاؤكَ جرمـــــاً
يتنـــــاثرُ دمهـــــم فيُ عُرســـــيْ

ولمـــــــاذا تُزْهَـــــــقُ أفـــــــراحٌ
لا تلقـــــــيْ بـــــــالاً لليَـــــــأْسِ

❁

يـــا شـــيخُ صـــحوتُ فـــأذهلني
ظلـــمٌ يتفشـــى فـــي الإنـــسِ

ورجـــــالٌ لا ترجـــــو خيـــــراً
تبـــدع فـــي المَكْـــرِ وفـــي الـــدَّسِّ

وكـــأني بـــك تعِـــظُ وتحكـــيْ
عـــن حـــربِ الـــرومِ مـــع الفُـــرسِ

وعلـــــومٍ ضـــــاعتْ وإبـــــاءٍ
بقـــيَ اســـماً يَبحـــثُ عـــن جِـــنسِ

وذكـــرتُ حـــديثكَ يَـــا شـــيخِي
وصـــلاتَكَ معنـــا فـــي الخَمْـــسِ

مـــا كنـــتُ لأنســـاكَ عظيمـــاً
يـــا شـــيخُ فمـــا أنـــتَ بمنســـي

عهـــداً يـــا شـــيخ ســـأقطعهُ
معجونـــاً حُبـــاً وتـــأسٍّ

غزة في:
الثلاثاء ٢٣ فبراير ٢٠٠٨م

سجينٌ .. وقلبُ أمٍ

ولدي!

أخـذوكَ قسـراً مـن حـدائق بيتنـا

قـادوك حيـث الظلـم فـرق بيننـا

سـجنوك حُـراً رافضـاً إذلالنـا

بعـد الفـراق تقرحـت أكبادنـا

ولـدي... بـذور الحـب تمـلأ

عمرنـــــــــــــــــا

أبـــنيَّ قـــد طـــالَ العنـــاءُ وأنجمـــي

في الليـــلِ أدماهـــا انقطـــاعُ وصـــالِ

أيـــنَ المســـامر غـــاب عـــن بيـــتي فـــلا

متضـــــاحكٌ ومشـــــاكسٌ بـــــدلالِ

كنـــت المـــؤانسَ والأنـــيسَ بليلـــتي

كنـــتَ المـــلازمَ ليْ كمثـــلِ خيـــالي

حـــراً هنـــاكَ رســـفتَ في قيـــدٍ وقـــد

أضـــفتْ جـــراحُ الـــروحِ طيـــفَ جمـــالِ

عـــزاًهنـــاكَ رسمـــتَ في كـــفِّ الحجـــر

فمـــــتى تغيـــــبُ ســـــحائبُ الإذلالِ

ومـــتى سأحضُـــنُ فلـــذَ كبـــديْ هانئـــاً

ومـــــتى ســـــيأذنُ ظلمهـــــمْ بـــــزوالِ

فـــاليومَ أدمـــت معصـــميكَ مذلـــةٌ

وجبينُـــكَ الوضـــاءُ فـــاضَ تعـــاليْ

أماه!

ظلماً وقهراً في السجونِ نعاني

بين الأذى وقذارةِ الجُدرانِ

زيدي عليها قسوةَ السجانِ

بكِ يا حبيبةُ نابضٌ وجدانيْ

لكـنَّ صـوتَ الحـقِ قـد نـادانيْ

صـــــبراً علـــــى ألمِ الفـــــراقِ حبيبـــــتيْ

فالســـــجنُ والقضـــــبانُ قيـــــدَ زوالِ

ألمـــــي يـــــذوبُ وقيـــــدهمْ متبـــــددٌ

ودجـــــى الســـــجونِ كســـــائرِ الأحـــــوالِ

نامـــــتْ علـــــى قضـــــبانِ ســـــجني زهـــــرةٌ

غنـــــتْ تراتيلـــــيْ شَـــــدَتْ مـــــواليْ

وغفـــــتْ علـــــى زنـــــدِ الهمـــــومِ وريقـــــةٌ

نقشـــــتْ حروفـــــاً لخَّصـــــتْ مرســـــالي

شـــــوقٌ وآلامٌ تهدهـــــدُ مهجـــــتيْ

لـــــكِ يـــــا حبيبـــــةُ أقبلـــــيْ وتعـــــالي

وقفـــــيْ ببـــــابِ الســـــجنِ أمُّ توشـــــحيْ

بســـــلاح صـــــبرِ فـــــؤادكِ الســـــيَّالِ

أمـــــاه حـــــانَ الوقـــــتُ كـــــيْ تتـــــألقيْ

ولدي!

لـو الآلامُ مـا زالـتْ تمـرُّ

ولدي!

لـو السـجنُ الحقيـرُ سيسـتمرُّ

ولدي!

ويبقـى دأبهـم ظلـمٌ وقهـرُ

ولدي!

سـيبزغ مـن سـواد الليـل فجـرُ

ولدي!

ويلمـع فـي سـما الأمجـاد نصـرُ

غزة في: ٢٠٠٧م

ليل .. وألف ترتيلة

الليل أرخى في هدوءٍ جدولاً
بسوادهِ غطى على الوهجِ الشديد...
والليلُ أعدمَ كلّ من في ساحهِ،
مروا إلى الفجر المؤملِ، أو إلى الصبح المجيد!
والليلُ يشكو الآنَ من إطراقه،
أتراهُ يقتنصُ الفظاظةَ في جحود؟
والليلُ يسترقُ الأقاويل التي تأتي على الأسماعِ،
أو تصلُ الذرا أملاً تعود!
والليلُ يقتلُ نفسهُ متعمداً،
أتراهُ يشرقُ بعدَ قتلٍ من جديدْ؟
يا ويلَ قلبِ الليلِ من إيماءةٍ، تهدي المضيَّعَ،
تحتوي كلَّ الذي قد قيلَ، تقتاتُ المكارهَ،

تحتمي في طرفِ مثقلةِ الجراحِ،
وترتمي تحتَ انحناءةِ آهةِ المكلومِ،
ترتشفُ المذلةَ قربَ قارعةِ الرحيل إلى الفناءِ، من الوجود!
يا ويلَ قلبِ الليلِ،
من هولِ الذي يلقاهُ من سرقَ النجومَ، وصفَّدَ الدمعاتِ
فوقَ خدودِ نائحةِ الفراقِ، وطفلةِ الوطنِ الشهيد
الجمرُ أشهى من مسيلِ فواكهٍ، رُصدتَ لمأدبةِ الصمود؟
البغضُ أبقى من دموعِ حليلةٍ، أو من نقاءِ جليلةِ الوجهِ
السعيد!
يا ليلُ أشرقْ كيفما كنا وكنتْ
يا ليلُ عد حرَّاً إلينا، طاقةُ الإلهامِ أنتْ
إن لم تعد... فاصرفْ فؤادكَ، أنت حتماً قد قتلتْ
يا ليلُ فافعل أنتَ "ياما" قد فعلتْ
يا ليلُ ساندنيْ فإني.. بتُّ أفترشُ الحدود!

غزة في: ٢٣ يناير ٢٠٠٩م

صورة الصمت
السلطان العظيم

بينَ داليتين

ما بينَ داليتين أغفو[٤]... حاملاً قلبي ومشعل،
أو غارقاً في قضمِ ما قد يتدلى بالقدر
أغرقيني بالبهاءْ
أسكنيني حضنَ ذاكرةِ الإباءْ
حدثيني عن صدى الأحداثِ في قلبِ الحياةِ، وأخبريني..
كيف يغدو الدم ماء!
هل ترى يُنسى الوفاء؟ أم ترى تُنسى السماء!

❁

تتعرشُ الخضراء فوق حياتنا
وتمدُ روحي بالأصالةِ والسنا
هذا الـ يخبئهُ القدر!

---

[٤] **الداليةُ رمزُ للمرأة الفلسطينية، والداليتان شاعرتان فلسطينيتان من غزة (ابتسام، وعفاف) وقد ألقيت تلك القصيدة في أمسية خاصة بالشواعر تحت مظلة: الشعر بين جيلين.**

وأنا هنا...

ما بينَ داليتينِ أرقدُ حالماً متفائلاً،

وبعمق قلبي رغبةٌ ما هزها طولُ السَّفر.

يا دالية،

عمرتِ ألفاً، لا وربي ما انتحيتِ،

أصبحتِ كالزيتونِ في رحمِ الحقيقةِ، وانزرعتِ،

والجذرَ في عمقِ البسيطةِ قد ضربتِ.

يا دالية،

ماذا لديكِ الآن؟

قوليهِ إن شئتِ، وحتى إنْ أبيتِ!

❁

ماتت هزائمُهم وما غبتِ ولا في الحربِ متِّ!

يا دالية،

ربيتِ ألفاً من براعمِ أرضنا،

وغرستِ في وسطِ اللحاءِ محبةً،

لا لن تموتَ مع انصرامِ الوجهِ من دنيا اللئام.
ستعيشُ في المقلِ الحبيبة، والعقول تحيطها بسياجِ تذكارٍ
ليمنع كل من رام التسللَ، كي يرى شيئاً من العورات
أو حتى ليسرقَ شمسها، ويحيلَ صبحَ الحبِّ ظلماً قد تلفَّعَ
بالسواد!

❁

هذا أنا...

أنا ماثلٌ ما بينَ داليتينِ، أغفو مرةً،
تتلألأ الأحلامُ بينَ عيوننا،
وأصارعُ الريحَ المريرةَ مرةً،
تتفتقُ الآلامُ فوقَ قلوبنا،
وأعود كي أحكي مرادي مرةً،
أحكي، وتحكي الروحُ نزفَ جروحنا.

أنا هاهنا...

لا زلت أغفو ناظراً ماذا تدلّى من هناك،

من بينِ هاتيكَ العروقِ، وبين أغصانِ الدوالي.
ماذا نقشتَ أيا فؤادَ الدالية،
فوق الوريقات التي "عَرِقت" هنا بنقوشِ قلبِ الدالية...
لا شك يا هذي نقشتِ على كفوفِ وريقةٍ كلَّ الحقيقة،
يوماً سأقرؤها على الأسماعِ في وضحِ النهار،
لكنني سأرى هنا، ماذا يقولُ **"الابتسام"!**
والابتسام معمّرٌ في وجهِ داليةٍ سقتنا سلسلاً زرعَ الإباء،
زُرعت على الربواتِ قبل وجودها،
وجذورها تمتدُّ، والهامُ الجليل يعانقُ النجماتِ في وجهِ السماء.
أي دالية،
فلتمطرينا بعضَ أثمارٍ، لتُغرقَ روحنا بالانتماء**!**
أي دالية،
هيا لتحكي كيف قاومت النساء.
البرعمُ الوثَّابُ من تحتِ الدواليْ ظلَّ يحضنهُ **"العفافْ"**

ها ينتشي مجداً على رملِ "السوافي" أو صُديفاتِ الضفاف،

ها يعتلي الذراتِ حتى يستوي فوق الغيوم،

ويعانقُ الأنسامَ حراً ما تلبَّدَ بالهموم!

أي دالية،

جاءت كما الإصرارِ يمتهنُ العبور،

رشَّت حبوراً مالئاً كلَّ الصدور،

تحكي عن الألمِ الدفينِ، عن الرحيلِ إلى القبور

مدَّتْ يميناً مثقلاً بالقيدِ، أهدتنا السرور

كالروحِ كانتْ حرةً، وحكيمةً تزنُ الأمور

والعمرُ نفحاتُ الصبا المزدانِ في قلبِ الزهور

يا فرحتي إن أقبلت، وتقلّدت شرفَ الظهور

يا غالية..

إن قالها السُّفهاءُ: ماذا قدْ تُغيِّرُ واحدة؟

قلنا لهم عنكِ الحقيقةَ، لستِ أيةَ واحدة!

بل أنتِ نبراسُ البطولةِ والحكايا الخالدة،
أنتِ الوفاءُ والالتزامُ، وروحُ جندٍ ماجدة،
لا... أنتِ أغنية الإباءِ، صبورةٌ ومجاهدة،
بل أنتِ مدرسةُ النضالِ، صلابةً ومساندة،
أنتِ القويةُ دائماً، روحُ الفداءِ الواعدة،
بل أنتِ فينا كلُّنا، أجيالُ نصرٍ صاعدة!

❁

يا غالية،

بالأمسِ "ياما" قد هززتِ سريرَ أختي أو أنا،
بالأمسِ "ياما" – حرةً – حققتِ للكونِ المنى،
بالأمسِ والأمسِ القريبِ، صنعتِنا يا أمَّنا،
يا أمَّنا يا زهرةً، فاحتْ شذىً من حولنا،
اليومَ قامت موقفاً، شهدتْ نواحيْ أرضنا،
اليومَ أشهَرَت السيوفَ، تُطيحُ رأساً ذلَّنا،
اليومَ أنهضت العزائمَ، نهضةً تسعُ الدُّنا،

أماهُ أنت عظيمةٌ، والفعلُ من يحكي لنا!

❁

هذا أنا،

لا زلتُ أغفو حالماً، في حضنِ هذي الغالية

تتلألأ البسمات في أحداقها،

روح العطاء تطوف في أحشائها،

جهراً سيحضنها الأمل.

وسترسم الآلام رسماً قاسياً

لكنه حتماً سيُمحى، حينَ يحضنها الأمل.

فلتهنئي يا هذه الأرضُ الحبيبة باعتزاز الدالية،

وبانتفاض الدالية،

وبكل ما تحكي الدوالي من حكايا باقية،

ولتهنئي،

حين الجوى سعداً يُسطّرُ في حناياه العميقة ما تقول بلهفةٍ

متتالية

تلكَ الصبورةُ والحكيمةُ والرؤوم الحانية،
فاشهد أيا كوناً تجلَّى، أن يوماً دالية،
قد أقسمت أن الحقيقةَ، سوفَ تُجلى كالشموسِ
وتفضحُ الغدرَ الدفينَ بكلِّ أرضٍ نائية!

غزة في:
الأربعاء ٢٣ يولية ٢٠٠٨م

تحت أنقاضكِ
يخفو الفؤاد

أيـــا دارَ عـــزِّيْ وحـــبي العميـــق
أريحانـــةَ القلـــبِ زاد الحريـــق
ذكرتـــكِ والهـــمُّ بيـــني وبيـــنيْ
أحـــادثُ نفســـي بهمـــسٍ رقيـــق
تـــذكرتُ فيـــكِ انتفاضـــةَ روحـــي
وذكـــرى طمـــوحي وحلـــم الشـــروق
تســـاميتِ دومـــاً وكنـــتِ الســـموَّ
فـــلازمَ قلـــبيْ هـــواكِ العميـــق
وقفـــتُ علـــى البـــوحِ أرجـــو اهتـــداءً
فـــأنَّ أحـــوزُ وأنـــتِ الـــبُروق

وأنـــــتِ ليَ النـــــور نحـــــوَ المعـــــالي

وأنـــــتِ بـــــدربي النصـــــوح الشـــــفيق

وإني أيـــــــا دارَ عـــــــزيْ ومجـــــــديْ

لـــــديكِ اجتهـــــاديْ وعزمـــــي يفيـــــق

ففيـــــكِ أتـــــرجمُ معـــــنى ثبـــــاتي

وعنـــــدكِ ألقـــــى الجـــــوابَ الأنيـــــق

عـــــن الحـــــقِّ عـــــن مفـــــرداتِ الحيـــــاةِ

عـــــن العـــــزِّ والانتمـــــاء الحقيـــــق

عـــــن المجـــــدِ عـــــن مكرمـــــاتِ الفـــــداءِ

عـــــن المســـــجدِ المقدســـــيِّ العتيـــــق

فأنـــــتِ منحـــــتِ ولا زلـــــتِ أنـــــتِ

بجـــــــودكِ روحٌ محـــــــالٌ تضـــــــيق

ولـــــيسَ بوجهـــــكِ أيّ عبـــــوسٍ

يهـــــددُ يومـــــاً بنـــــأيٍ ســـــحيق

عرفتـــــكِ نهـــــرَ نقـــــاءٍ يســـــيلُ

وبـــــدراً يســـــامرنا كالصـــــديق

عطـــــاءً وبـــــذلاً بـــــرغم الجـــــراحِ

وكـــــلُّ المكائـــــدِ ليســـــت تعيـــــق

مضـــــاءً، فـــــداءً وحلمـــــاً وصـــــبراً

علـــــى مـــــن يقيـــــدُ أذاه الحريـــــق

برفّـــــةِ روحـــــي أزورك دومـــــاً

أخـــــبّي أمـــــانيَّ بـــــينَ العُـــــروق

وأســـــألُ نفســـــيْ تـــــرى هـــــل نعـــــود

نجـــــوبُ الرحـــــابَ بعشـــــقٍ طليـــــق

تـــرى هـــل يعـــود فضـــاءُ الأمـــاني

وهـــل يختفـــي اليـــوم صـــوتُ النعيـــق

لمـــــاذا علـــــى حبنـــــا صـــــوَّبوها

ســـــهاماً تلظَّـــــى بـــــرجسِ العقـــــوق

وأعـــــدو إليـــــكِ بـــــذاتِ هـــــوايَ

تضـــــيعُ الأمـــــاني تتـــــوه الطريـــــق

فتحـــــتَ حطامـــــكِ يغفـــــو فـــــؤاديْ

وبـــــينَ رُكامـــــكِ لُـــــفَّ العقيـــــق

غزة في ١٤ يناير ٢٠٠٩م

فُصُولْ

وليدة: ديسمبر ٢٠٠٧م

[١]

قسمةٌ ضيزى

من ذاك الباكي أرقني؟
لا تبكِ فدمعُكَ يحرقني،
لك غزة فاصبر أفرغها
من شعبِ الإرهابِ العربيْ
شعبٌ لم يفتأ يقتلكمْ
لم يُفلح إلا في الغضبِ!
أنصفنا قائدُ نكبتنا، إن شئتَ وأيضاً نكستنا
أو قُل حتى من ضيعنا
لكن يا أسفي لا زلنا،
قائدُ نكبتنا يحكمنا
لازلنا ننتظر القادم،
قد يتغيَّر نهجُ الحاكم!

[٢]

حكمٌ جائر

يقوم عدونا العاري فيلبسُ أجمل الأثوابْ
يصيح بجمعِ أعرابٍ:
هلموا كي أقابلكم نهار غدٍ، وبالأموالِ أغرقكم
أمنِّيكم وأُسعدكم، وللآمال آخذكم... فأدفئكم
ويأتي اليوم موعدهم،
فينطلقون... يتبعهم، ضميرٌ تاه من زمنٍ
ويسألهم: إلام يظلُّ يفتنكم
إلى وهمٍ يجرجركم
ألا كفوا! صنوفُ الخزي تلعنكم.
يقول ضميرُ حاكمنا: إلى أين الذهابُ غداً
يردُّ الحاكم القاسي: "أنا بوليس"

يُعيدُ ضميره الغائب: أأنت بوليس أم بولس؟
وأعلمُ أنهُ قد مات منذ زمانِ خير الناسْ،
فيغفلُ آخر الأنفاسِ، قد حُبست بعرقٍ يكرهُ الإحساس
ويرحل نحو مقصدهم،
فيجتمعون كالعادة،
طيوفٌ سمِّها قادة!
ويُصدرُ قارئ اللعناتِ أحكاماً كما العادة
ألا تدرون ما أبغي؟
سلاماً سوفَ يشملكم...
وأما من يعاندني،
فممنوعٌ تكلمه، وممنوعٌ تلعثمه، وممنوع تنقله، وممنوع تفاؤله
يصفقُ جمعهم جزِلاً، وهذي عادة السادة
وتغلق حلقة التبرير والتغرير
ينطلقون للعالم!

[٣]

درسٌ آخر

يحدثنا معلمنا عن الأوطان في يأسِ
يقول: اليومَ أبنائي، نلخصُ معظمَ الدرسِ
جذورُ عدونا الماضي، تمثِلُ أخبثَ الغرسِ
سنبقى كي نحاربهم... ونرجعُ كاملَ القدسِ!
يحدثنا معلمنا، ويذكرُ شبهَ معلومة،
بطعم القهرِ منظومة!
عن الأوطانِ قد قيلتْ، بها الأوطانُ مظلومة
يحدثنا عن الدنيا، وعن أشياءَ مرسومة
وعن جسدٍ به ألمٌ، بل الآلام معلومة!
يصيحُ نضال: أستاذي...
بملءِ إرادةِ العَرَبِ، ديارُ العُربِ محتلة

وهذا ديدنُ العَرَبِ، عقولُ العُربِ مختلة
ثيابُ سيادة القاضيْ، من الآثامِ مبتلة
ولكن يا معلمنا... بلادي لم تزل حرة
برغم القيد في المعصم،
وأن بلادنا تُظلم،
بُلينا يا معلمنا
بُلينا ذنبَ قاضينا!
يبيعُ لمن يزيدُ السعرَ، يغدقُ دارَ قاضينا بمالٍ أو بكرسيٍّ
ويعطي الغيرَ خاتمَها ليختمَ عنهُ شاريها
فيأمر أمرهُ فيها
وتحكي يا معلمنا بأن الأرضَ مُحتلة؟

[٤]

الورقة الأخيرة

ولما مرَّ بعضُ العهدِ...

مرَّ ربيعُنا الأخضر، ومرت بعده الموجة!

ولكن حين جاء خريفْ،

وكادَ فضاؤهُ يُقفِر!

يشدَّ زعيمهم عزمه،

يقاومُ نوبة التخريف،

يجيء بثوبِ "خَوفَتِهِ" ليسرقَ حلمنا المزهر

أيا هذا...

إذا أُعطيتَ مفتاحاً، وكدتَ تروم أفراحاً، فلا تأملْ

ستبزغُ بعد نكبتنا...

بشائرُ فجرها الأجمل!

طرحةٌ حمراء ،!

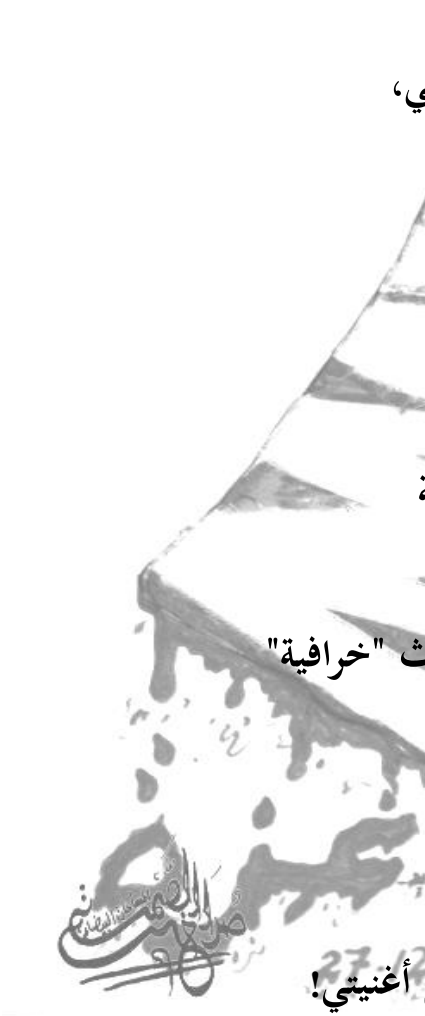

ودمِّي يسيل...
أغذ الخطو للمستقبل الزاهي،
بخطوات مصيرية
فأطواقي تزيننني،
وبين الطوق والفستان،
أحلام تداعبني
فأحلامي كما الأحلام وردية
وأرديتي حريرية
وقصة عشقي الأزليّ، أحداث "خرافية"
فماذا قد جنى السجان،
من قتلٍ لأمنيتي
ومن عقدٍ لأوردتي،
ومن تكميم أفواه، تردد بوح أغنيتي!

وماذا قد جنى خصميْ، أو المخبولُ سجاني
من الإسراف في تعذيب أقراني
وماذا قد جنيت أنا؟ تلون طرحتي بالدم!
وماذا قد جنى قلبي؟ ليذبح شوقه بالسم!
وتُحمَل روحي الثكلى، لآهات تصب الهمّ!

❁

ودمِّيْ يسيلْ...

أسطر في فضاء الكون،
ألحاناً بطولية
وأنقش في القلوب الحبَّ مزداناً،
بأقدارٍ إلهية
أمرّ على شواطئنا،
برارينا،
أغانينا،
أناغي الزهر في حضن البساتين!

❁

ودمِّي يسيل...

أعانق حلمي المذبوح،

بين "أنا وأنت"

وأكتبُ أمنيات العمرِ،

دامية بها ألم الجروح

كأن السعد بعضُ قروح

❁

ودمي يسيل..

أجر ثوبي مثقلاً،

وبه أسير

حتى أعانق فرحتي،

يوم المصير

فأنا عروس،

ليس لي حظ معجَّل

العرس بالجرح تأجَّلْ
لما عريسي قد ترجلْ
الله يا فرحي المؤجلْ
غابت عن الدنيا ابتسامات الرضا
لما ارتحلت أيا رفيق
وتناثر الهمس الرقيق
وأنا هنا
أستذكر الخل الشفيق
أصارع البعد السحيق
أبارز الغيداء،
مهما المعجبون تكاثروا
ها إنني الأحلى..
ولو أن الدموع،
تسيل في صحن الخدود،
كما العقيق

وإنني الأغلى..
ولو أن الأحبة،
يرحلون إلى العلا
كالحلم أرقبهم
ويلفحني لهيب البعد
يذبحني اللهيب..
وإنني الأقوى
وإن غابت عن الحوض الليوث..
تسطر النصر القريب
وتكتب المجد الرهيب،
لتسعد القلب الحبيب
لا...
ليس إلا بعض أقدارٍ،
أرى هذا المغيب

لم ينتهوا
لكن بحضن الأرض
"تنْزرعُ" الأسود "نيوبها" مسنونة
حتى تقارع زارع الآثام
تذبح سارق الأيامِ
تقتل ظلمه الأقسى
وتكشفُ سوءَةَ الآمال في ليل الكذوب

❁

هيا أيا "غيداء" باهيني تراه نما جمالك..
أم تقزمّ!
أتراك حقا تفخرين بمعجبيك،
يلفهم حب الدنية،
إنما أنا صاحبي الشبل الملثم
والله كافل فرحتي
مهما بدم لطَّخوا لي طرحتي

فعلام تبكي مهجتي
وعلام يسكنني الألم!
أنا إن بكى قلبي وأرقني الغياب،
فلست أرضى بالقليل من المحبة والوصال
هذي حقيقة فرحتي...

والدَّمُ لا زالَ يسيل!

غزة في
الخميس ٢١ يونية ٢٠٠٧م

شمعةٌ في الفؤادِ ..
ودمعة في البلادْ!

إلا القليل...
يبكون في ساحاتِ توديعِ الخليلْ
حملوا بطاقاتِ العزاءِ.. لوالدِ الأملِ القتيلْ
كانوا مواكبَ من حديثٍ نمقوه
ليقرؤوا ما في فؤادِ العقْرُبان!
حملوا بقايا البُنِّ حتى يدفنوهُ هناك عندَ الزنبقة،
ولديهِ يلقونَ القرابينَ الجليلةَ قبلَ تقريرِ الرحيلْ.
وأنا، كنجمٍ لستُ ألمحُ غيرَ وجهِ الماءِ، يعرفني.. ويدركُ قصتي،
وإليهِ "ياما" قد بثثتُ مشاعريْ

وعلى السوادِ، رأيتُ عينَ النورِ كالغدقِ المفاخرِ قفرَ جوفِ الأَلْفِ،

تمنحُ ليلهمْ فانوسَ نورٍ ما رأوه منَ الأزلْ!

وعلى الزجاج لمحتُ شيئاً،

طالَ قلبي، نطقَ القلبُ الجميلْ:

يا أنتِ شمعةُ دربنا، إمَّا أضاعوه الفتيلْ

وإذا بحثنا عن دليلْ

أو أنتِ دمعةُ قلبنا، في رحلةٍ للمستحيلْ

أو في الظلامِ هنا تسيلْ

❁

وغزة هذي، كطفل صغيرٍ يجوب المسافات بحثاً عن الحبِّ فيها وعن أيِّ غادٍ يجيء إليهِ بشعلة دفءٍ، بصيص ارتياح!

تراه يلاقي هناءً، ضياءً، يطلُّ عليهِ كنورِ الصباح!

ويزجي الصغيرُ دعاءً شفيفاً، يرتل أحلامه للسماء

ويرسل عبرَ الأراجيزِ نجوى...
وما بالقلوبِ انبعاثاتُ شكوى، ليصعد حباً لربِّ السماءِ،
يُطمئنُ قلبَ الصغيرِ كثيراً.. ويهديهِ عيدا

❁

وينفذُ إكليلُ روحِ الحياة!
ففي الدرب قاد اللئيمُ الحريق،
ويصرخ أطفالنا في الطريق،
تحار الأيامى بنسجِ الفِكَر،
وتسبحُ أرواحهمْ والنظر،
وترقى إذا ترتقي للعلا،
لتدعو الإله بأن تنتصر...

غزة في: مارس ٢٠٠٨م

نقشٌ
على باب مغلق

أمي تحدّث خالتي، عن رحلةِ الغدِ حيثُ نرحلُ للممات،
وتجولُ في الأرجاءِ مقلتها ترتبُ كلَّ شيءٍ، خوفَ أن تنسى
الحقائبَ.. خوفَ أن تهملَ شيئاً!
ما نمتُ ليلتها وأخمدَ فرحتي وجهُ اليهوديّ الذي
ألقاه عند البابِ، يضربني، يوبخني،
يقول: تعالَ واخلع كل ما تلبسُ يا بن الـ...!
ما نمتُ، كيفَ أنامُ... كيف!
وغداً أفارق جدتي والجدُّ والخالاتُ والأحباب،
نرحلُ حيثُ لا نلقى حبيباً أو قريبْ.
ما نمتُ، كيفَ أنامُ، في الغدِ ترقصُ الغرباتُ من هول
الفرح!
أما أنا سيظل يخنقني التفكرُ كيفَ نرحلُ!
كيفَ أتركُ حقل جدي،
أتركُ الزهرَ الذي ناغيتهُ فوقَ الجبلْ!
ما نمتُ... أرَّقني التفكرُ في المصير،

بيني وبينَ الموتِ تقريرُ المسير!

❁

وهناك لما أشرقتْ شمسُ الصباح...

لمحتُ في إشراقها طعمَ السعادةِ والمرح،

سأدفئُ القلبَ الحبيبَ، أيا حبيبُ فلا تخف،

لن أتركَ الغرباتِ يوماً تمنعُ الأفراح أن تأتي إليك،

أيا صغيري:

كن كما جادت عليك شموسنا،

كن دافئاً، حراً، وأنقذ مقلتيك!

❁

ووصلت مع أهلي هناك...

جلستُ بينَ القاعدينَ إلى جوارِ "المحلبة"

ومللتُ أنتظرُ المنادي كي ينادي: أين سلوى وابنها؟

ووقفتُ أبحثُ،

لستُ أدري، ما الذي عنه سأبحثُ في وجوهِ الناسِ!

أو في كل أرجاء المكان...
لا ظلَّ يسعفني فأسعدُ، أو يريحُ طفولتي
لا ماءَ يرويني فأرقدُ، أو فتبردُ حرقتي!
لازالَ في كبديْ يفتُّ الخنجرُ المغروسُ في قلبِ الزنابقِ،
ويلهُ... ما ذنبها!
ويهددُ الأحلامَ تشربُ ذلكَ العسلَ المفدى خبأَتهُ بياسمينةِ
صدرها،
شاميةً ألفيتُها تغفو بأحضانِ القمرْ،
فألفتُها!
وإذا بهم... نقشوه في الأنسامِ في عمقِ الهواء،
وأحكموا إغلاقَ أبوابِ المرورِ إلى الهلاك:

"لا.. لن تمرُّوا"
"لن تمرَّ إليكمُ روح الحياةْ"

اليومَ ينقشُ كفرهُ فوقَ النوافذِ معلناً:
ألاَّ ولوجَ، ولا خروجَ، ولا ممات!
وأنا هنا،
قد أزكمت أنفي روائحُ... خلتُها يوماً هواء،
وتعطشت روحي لأدخنة الشواءِ، جوار جدي، عندَ بئر الماء،
أتنفسُ الصعداءَ، حينَ يلفنا جدي بأطراف العباءة.
وهناكَ حولَ الموقدِ الطينيّ في "حاكورةِ" البيتِ القديم تروحُ كلُّ همومنا،
ببريقِ عينيها العميقةِ تحتوينا جدتي، وهناكَ نغرق،
الله... ما أحلاه من غرقٍ بعينيْ جدتي!
❁
صوتُ المنادي، أيقظَ العينَ التي تغفو تغطيها الدموع،
ليضمَّها بينَ القوافلِ عائدينَ إلى هناك،
ما بينَ أسمالِ الأصالةِ نلتقي معَ جدتي...

أمي تغشي وجهها قطعُ الجُمان،
وجدتي تحثوا لآلئ فرحةٍ من فوقِ رأسي،
بللتْ شعريْ دموعاً.. لستُ أعلمُ سرَّها!
لكنها فاضتْ عليَّ ككلِ غيماتِ الوطن.
عدنا لبيتِ الجدّ يا أماه...
هاتوا جميعَ دفاتريْ من حيث كنتُ أقيمُ في غربِ الفرح!
لا... لستُ أطلبُ من حياتي، غيرَ حضنِ الجدِّ، حضنِ الأرضْ،
لما ظننتمْ أن عيشي خارجَ العشقِ المباحِ سكينةٌ ترتاح فيها الروحُ من ثِقَلِ الهمومْ،
وقلبتمُ الأوزانَ بحثاً عن عقاراتِ السمومْ،
لم تدركواْ أني سأحيا طولَ عمريْ، لستُ موجوعاً...
لا، لستُ مجروحاً...
لا، لستُ ممتناً...

ولكن، ملء قلبي فرحةٌ،
إن التقاديرَ العجيبةَ جاءتِ المرَّةَ،
حيثُ يهوى القلبُ، ترتاحُ الجفون!
فلتنقشوا بجوارِ لافتةِ المرور حكايتي،
ولترسموها شعلةً من ضوء،
من ظلامِ الليلِ عندي سوفَ توقدُ في غد...
فيها سأحرقُ وجه من منعَ الهواءَ منَ المرور،
وسأشعلُ الدنيا بضوءِ عزيمتيْ!

غزة في: مارس ٢٠٠٨م

سيأتي العيد..

أدَمـــعَ العـــينِ جـــاوِبْ عـــن ســـؤالي
بقلـــبي غصـــةٌ مـــن ســـوء حـــالي
يُـــــذلُّ المســـــلمونَ بكـــــلِّ أرضٍ
وتـــــذبحهم خيانـــــاتُ النِّصـــــالِ
وفي الأجـــــداثِ تَـــــدفِنُ أمنيـــــاتٍ
تمنوهـــــا وجـــــدوا في الســـــؤالِ
تُصَـــوِّبُ نحـــوَ حُلمهـــمُ ســـهاماً
وتـــتقنُ فـــنَ تصـــويبِ النبـــال
وكـــلُّ العُـــربِ قـــد رأوا المآســـي
ومـــلءَ جفـــونهمْ نـــاموا خـــوالي
فمـــا اهتـــزت قلـــوبهمُ لظُلـــمٍ
ولا اهتـــــزت رمـــــاحٌ للنـــــزالِ

وفـــوق البـــؤسِ يســـكر بعـــض قـــوميْ

يـــدوسُ شمـــوخَهم غضَـــبُ النعـــال

لســـوفَ يُقـــيضُ الـــرحمنُ جنـــداً

ويمحـــو الحـــق أشـــباه الرجـــالِ

وترجـــعُ رايـــةُ الإســـلامِ تعلـــو

ويـــأتي العيـــدُ يـــا ظلـــمَ الليـــالي

فيحـــرقُ مـــن بغـــدرٍ أغرقوهـــا

مصـــيرُ الظلـــمِ حتمـــاً للـــزوالِ

وويـــلٌ للقضـــاةِ بيـــومِ تجـــزى

جميـــعُ الخلـــق عـــن ســـودِ الفعـــال

غزة في: مارس ٢٠٠٨م

صرخة الصمت
السلطة الصامتة

تعذيب الرغد.. وموت الحلم!

على لسانِ ابنةِ الأسير || رغد أسامة

سبعٌ مررنَ يا أبي، سوداً بلا رؤياك
سبعٌ عِجافٌ يا أبي، لقاؤنا الشباك
تقضي وحيداً يا أبي، وصابراً هناك
أقضي أنا ليلي هنا، أتوه في ذكراك

❁

أمضي إلى هناك، وأرقبُ الصباح...
غافٍ على الأسلاك
في صدرِ طيرٍ حاضرٍ، عندي كما الملاك
في كفّ زهرٍ أبيضٍ، كم أعجزَ الأشواك
إني أرى الآلام...
تعدو إليّ يا أبي، أجري إلى الفراش..
أذوب كي أنام!

لكنها تخيفني، فيهربُ المنام...
إني أرى السواد، يُلبِّدُ السماءِ
وإنَّ لي جناحا،
علّمتهُ الإسراع للأمام،
لكن تموت فرحتي، في لحظةِ اللقاء..
دوماً على الشبَّاك!
❁
إنّيْ أتيتُ يا أبي، معي الهنا والنور
عدوتُ نحوَ منزلٍ، يلفّه الديجور
وصورة الحبيب في يدي، تحيطها الزهور
وقفتُ عند البابْ،
والحلم أن أراك
فالخوفُ لفّ غفوتيْ!
أعدو إلى الزوايا، أفتشُ المكان
أضيع حينَ ألقى، تجاهلَ المكان!

وترقدُ القصائد،

ويرقد الحنين

وتكتب الجرائد،

عن قلبي المسكين

عن بسمةٍ قد غابت،

لـ ابنةِ السجين

أو طفلةٍ قد ماتت،

في المنزلِ الحزين

!

غزة في: يولية ٢٠٠٧م

على ثغرِ الجريحة

جـــــرحٌ يغـــــيرُ وبســـــمةٌ تتـــــألقُ
والفـــــألُ في عـــــينِ الجريحـــــةِ ينطـــــقُ

ورضـــــاً يفـــــيضُ بقلبِهـــــا وحـــــديثِها
بسَـــــــماتُها فيْ ثغرِهـــــــا تتفتـــــــقُ

فجراحُهـــــا مهـــــرٌ لجنَّـــــةِ ربهـــــا
وفؤادُهـــــا بكتابـــــه يَتعلـــــقُ

وطريقُهـــــا خطَّتـــــه حلـــــواً أخضـــــراً
مـــــنْ ســـــعدِها دمعاتُهـــــا تترقـــــرقُ

فــدنوت منهــا كــي ألامــس صــفوها
فـــأحوز نـــوراً في سماهـــا أشـــرِقُ

وســـألتُها: عـــن عشـــقِها لبلادِهـــا
هـــلْ مـــا فَدَتـــه تـــراه حقـــا يُعشـــقُ

قالـــتْ: كـــأني لســـت جنـــداً هاهنـــا
وديارُنـــا حـــقُّ لهـــمْ كـــيْ يســـرقوا

هــذي عهــودي لســتُ أرضــى غيرهــا
ووعـــــــودهم واللهِ لا تتحقَّـــــــقُ

مهمـــا اســـتبدوا ضـــدَّ فرحـــةِ عمرهـــا
هـــي حـــرةٌ منهاجُهـــا ســـيُطبَّقُ

حـــدثتها: عـــنْ جرحهـــا وسُـــعادِها
نثـــرَتْ جـــواهرَ والحـــديثُ يُنمَّـــقُ

قالـــت: كـــأني لســـتُ إلا زهـــرةً
وبهـــا يَهـــيمُ الواثـــقُ المتعلَّـــقُ

هـــي ثـــورةٌ محفوفـــةٌ نصـــراً لنـــا
وعلـــى الفـــؤادِ تصـــبُّ صـــبراً يُوثـــقُ

بـــوحيْ لنـــا هـــلْ صـــبرُكم وجهـــادكم
يومـــاً لغـــيرِ الله بابـــاً يُطـــرقُ

قالـــتْ: وربي غـــير إخلاصـــي لـــربيْ
مـــا اعـــترى أبـــداً فـــؤاداً يَخفـــقُ

أو في جنـــــاني أو كيـــــاني نفحـــــةٌ
ترجـــو ســـــناه ويجتبيهـــا البـــيرقُ

هـا أعلنـت عـنْ خـيرِ مـا قـد أعلنـوا
باحـــت لنـــا والبـــوحُ حمـــداً يغـــدقُ

وتبســـــمت ســـــبحانَ ربي، قلتُهـــــا
وفـــــؤاديَ المفتـــــونُ راحَ يُصـــــفقُ

مـــا أعظـــمَ الـــروحَ الجريئـــةَ هاهُنـــا
أو أعظـــمَ الجنـــدَ الـــذينَ تســـابقوا

لجنـــان عـــدنٍ أزلفـــت وازَّينـــت
والمســـك منهـــا كالنســـائم يعبـــقُ

غزة في: ديسمبر ٢٠٠٧م

للجرحِ .. في روحيْ صهيلٌ

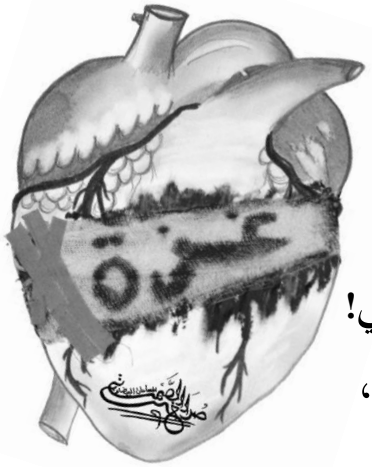

النَّزفُ يألفهُ دمي،

وبه "استلذت" أعظميْ،

يا نفسُ قرِّي وانعمي!

أحيا، وتختنق الحقيقةُ في فمي!

وألوم زنديقا يحملقُ كل وقتٍ،

في ثياب حبيبتيْ...

وأنا أسائلُ جندَهُ عن شهوته!

إن كان يدلقها بسهوٍ، أم تراه يخبئ القرف المعبَّأَ، في ثنايا جعبتِه...

وأراه في جهر يحدق، يفتح العينين، يفغر فاه، إن بسمت بوجه الناس مكتحلة...

أتراك ويحك تشتهيها؟

جهراً وقدامَ بنيها!

يا حلوتي،

أوَ تحزنين، وتطرقين، تفكرين، وتدمعين

أنا لا ألوم الساكنين هناك،

ولا أروم العون إن "عِلجٌ" بسطوته رماك،

أنا لست أحمل في ضلوعي جمرةً،

لكنه قلب تلظى في هواك...

أنا لست إلا قارئاً وجه المليكة، قارئاً كل التفاصيل الحزينة للعراك...

لا تقتليني يا حبيبة بالعتبْ،

أو تنسجي كفني ببركانِ الغضبْ،

لا تجرحيني فالجروح لها صهيل...

والروحُ تأبى أن يمزقها الرحيل!

لا تُرهقي قلباً تدفقَ بالرجاء،

لا تذبحيني بالسؤال عن الدماء،

لا تسأليني عن تراتيل النقاء،
كيما تصير قصيدتي عند انتفاضة جرحهم مثل الملاك!
إني أيا أمي أصر على البقاء،
إني أصرُّ على الولاء، على النقاء، على الوفاء، على اللقاء...
لكن قلبي يا حبيبة ليس يسعفه الحراك،
لا... ليس يسعفه الحراك!
"إني أيا أماهُ أختصر المدى"
في قبلة وردية أهديك إياها ونبقى في عناق...
تبقى هنا أرواحنا،
قسماً سأجمع كل شوقي إن تناثر أو جفاك،
نبقى المدى فوق الهلاك...

غزة في ٢٩ ديسمبر ٢٠٠٨م

بكِ أنتِ ،
يليقُ طوقُ الياسمينْ

عـــــرِّج علـــــى ســـــفر الخلـــــود ونـــــادِ
وامـــــلأ فضـــــاء الكـــــونِ بالإنشـــــادِ
وارســـــم علـــــى ثغـــــر المليحـــــةِ بســـــمةً
تهـــــبُ البهـــــاءَ لســـــاعةِ المـــــيلادِ
وافـــــرش فـــــؤادكَ جســـــر ســـــعدٍ وائتلـــــقْ
أوقـــــدْ شمـــــوعَ العيـــــدِ لـــــلأولادِ
أطلـــــق نـــــداءكَ عـــــبرَ كـــــونٍ جاحـــــدٍ
الآنَ يفـــــرحُ مـــــوطنُ الأعيـــــادِ

يـــا غافيـــاً فـــي حضـــنِ زهـــراتِ النـــدى

ومســـامرَ القمـــرِ المطِـــلِّ علـــى المـــدى

يـــــا واهبـــــاً أنفاســـــهُ مسترســـــلاً

يـــا مـــن شـــرعتَ الـــروحَ فـــي وجـــهِ الـــردى

يـــا مـــن يســـافرُ فـــي حـــروفِ قصـــيدِهِ

والحـــرفُ يشـــمخُ فـــي الملاحـــمِ ســـيِّدا

أحـــــرِج تقـــــدُّمهم وأطلـــــق صـــــرخةً

حتـــامَ يبقـــى البُـــومُ فـــي وطـــنِ الهـــدى

❁

يـــا مُديـــةً غُرســـتْ بخاصـــرةِ الصـــبا

يـــا دمعـــةً سُـــكبتْ علـــى خـــدِّ الإبـــا

يـــا زهـــرةً والـــنفحُ ســـمٌّ قاتـــلٌ

يـــا حُلـــمَ طفـــلٍ صـــارَ وحشـــاً مُرعبـــا

يـــا لوحـــةً ســـلبَ الرصـــاصُ جمالهـــا
قلبـــاً تهالـــكَ مـــن أنـــينٍ متعبـــا
قـــد آنَ يـــا أحـــزانُ أن تتبـــدليْ
تتكشَّـــفُ البشـــرى بأحضـــانِ الربـــا

❁

قـــد آنَ ينطـــقُ فـــي معانيـــهِ الهـــوى
ويثـــورُ بركانـــاً يخبئـــهُ الجـــوى
فالصـــدرُ مقبـــرةٌ تضـــمُّ رفاتنـــا
والوجـــهُ ملحمـــةٌ تخلِّـــدُ مـــا انطـــوىْ
قـــد آنَ تنتحـــرُ المظـــالمُ جملـــةً
ويمـــوتُ ذئـــب بالمكيـــدةِ قـــد عـــوى
الآنَ تنـــتفضُ القلـــوبُ بعشـــقها
والآنَ نســـمعُ صـــوتها حـــراً دوى

❁

هُزِمـــــتْ يهـــــودُ وفيْ خرائـــــبِ خزيهـــــا

لـــــمَّتْ بقاياهـــــا بمخلـــــبِ ذلِّهـــــا

نصَـــــبت بواكيهـــــا بيـــــومِ عزائهـــــا

ليقـــــومَ نائحهـــــا فـــــيلطمَ وجههـــــا

والشـــــامةُ الشـــــمَّاءُ غـــــزةُ يـــــا لهـــــا

عظُـــمَ المصـــابُ ومـــا اســـتبيحَ صـــمودُها

ســـــجّل أيـــــا تـــــاريخ عـــــزَّةَ غـــــزَّةٍ

تبقـــــى المنـــــارة للحضـــــارةِ كلهـــــا

❁

حامـــــت علـــــى أســـــوارِها الأحـــــلامُ

وتغسَّـــــــلتْ فـــــي طهرهـــــا الآلامُ

لمـــا اعتلـــى فـــوقَ الغمـــامِ جبيبنُهـــا

وتعالـــــــتْ الألحـــــــانُ والأنغـــــــامُ

فأضـــاء فـــي عـــتمِ الـــدُّجى قنـــديلُها

وأُمـــيطَ عـــن وجـــهِ الصـــباحِ لثـــامُ

وتبـــددتْ مـــن قلبِهـــا زفراتُهـــا

وازدانَ جـــرحٌ عافـــهُ الإيـــلامُ

❁

يـــا غـــزَّةَ الخضـــراء مزهـــرةَ الجبـــينْ

يـــا قلـــبَ مؤمنـــةٍ تعبَّـــأ بـــاليقينْ

قـــوميْ علـــى ركـــحِ الحيـــاةِ جليلـــةً

قُصِّـــيْ لمـــنْ يُســـتبدلونَ علـــى الســـنينْ

واستعرضـــيْ نقشَـــاً بصـــدركِ بـــارزاً

غطِّـــي علـــى الأضـــواء واحتكـــريْ العيـــون

تصـــحو النهـــى مـــن بعـــدِ مـــوتٍ غـــزتيْ

تهـــديكِ أطـــواقَ النـــدى واليـــاسمين

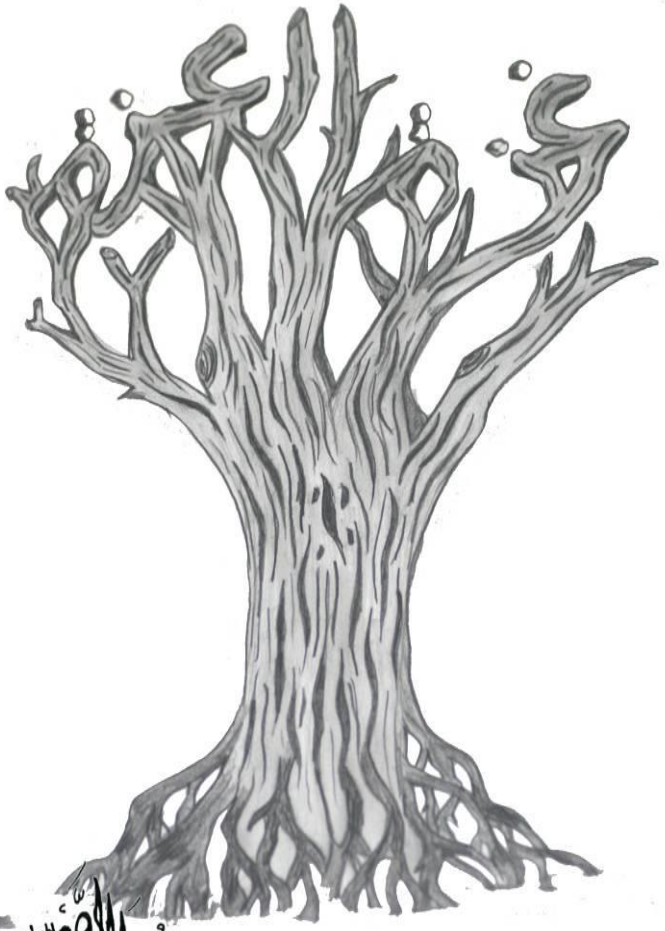

وليس إلا بكِ .. يليق طوق الياسمين

غزة في: ١١ يناير ٢٠٠٩م

في حضرة الطهارة

.:* وللقدس تراتيل *:.

كنوحِ الحمائمِ فوقَ المآذن

هو الصَّمتُ يوقظُ حزنَ المدائن

لتصحو ويصحو لديها الحنين

وتلثم **قدساً** طهورَ المفاتن

أغنية للقدس

يا صباحَ النصرِ أقبِلْ، واسكبْ الأفراح
في رحابِ البلدةِ الأغلى،
تعالَ، وائتلق فيها، وغنِّ...
أشعل المصباح.
أيقظ الفرْحَ الذي ما غابَ عنها،
واكتب الأملَ البهيْ ينسابُ منها،
أقرئِ المحرابَ تسبيحاتِ عودكَ بالدموع...
أغرِق الوجهَ الكئيب بفرحةٍ تهبُ الخشوع...
واترك الآمالَ ترسمُ لوحةً قبلَ الرواح!

❁

يا صباحَ مدينةِ الطهرِ العتيقة،
فيكَ تنسابُ الطهارةُ بامتلاء...
يا صباحَ عنادلِ الأسرِ الطليقة،

واهِ كم تقنا وأجهدكِ العناء...

يا صباح جداولِ الحبّ العميقة،

في غدٍ تحكيْ القصائدُ، عن حكاياتِ الفداء...

يا صباحَ الصخرةِ العصماءَ يحلو ذلكَ التاجُ المرصّعُ بالذهبْ،

يا صباحَ الحارةِ العذراء نخشى أن يدوسَ الطهرَ فاجر، فليفتتهُ النصبْ!

يا صباحَ المسكِ تعبقُ فيهِ أنسامُ الهواءْ،

يومَ تمتزجُ الطهارةُ بالغضبْ!

يا صباحَ القبَّةِ الخضراءَ، فينا نبضُ شوقٍ وحنين...

للقاءٍ في أمانكِ يحتوينا، بعدَ تشريدِ السنين

بعدما جارت علينا، كلُّ لحظاتِ الأنين!

بعدما طال الغياب،

بعدما عزّ العتاب،

بعدما يرنو برغم الجرح نصرٌ، في فضاءِ الحالمينَ،

وفي مخيمنا الحزين!

يا صباحَ القدسِ بالطهرِ المفدّى،

أنتِ فينا، قد عشقناك ولا نملكُ ردَّا...

مطلعُ الحقِّ قريبٌ، مثل روحي منكِ يا أمَّ المدائن،

حينَ أهديكِ فؤاداً فاضَ وُدّا...

نأيُ دربيْ،

عن ترابكِ يا حبيبةُ،

ليسَ بُعدا...

ليسَ بُعدا!

غزة في

الجمعة ١٥ مايو ٢٠٠٨م

عرسُ البتول

غفـــت البتـــول علـــى ذراع الأمنيـــات

مثـــل الحمامـــةِ حـــينَ تـــأنسُ بالأمـــان

وتطلَّعـــت مـــن طـــرفِ عِـــينٍ ذابـــلات

واستنشـــقت ريـــح المحبـــةِ فـــي المكـــان

❁

غفـــت البتـــولُ وفي العيـــون الـــدامعات

قصـــصٌ تصـــوغُ حكايـــةَ العـــزّ المِـــدان

فصَـــحَت ربيبـــاتُ الجمـــال النائمـــات

ورويـــنَ قصـــةَ حزنهـــا للأقحـــوان

ومســـحن جرحـــاً مـــسّ قلـــبَ المائســـات

ســـافرن بالقـــدسِ البتـــولِ إلى العنـــان

❁

يـــا حـــرةً لـــكِ تســـتفيقُ الأغنيـــات
لـــكِ ينجلـــيْ وجـــهُ الهنـــا طـــولَ الزمـــان
لـــكِ يعتلـــي الفرســـانُ ظهـــرَ النائبـــات
لـــكِ تُوهـــبُ الأرواحُ توقـــاً للجنـــان
لـــكِ أنـــتِ دونَ الكـــلّ بحـــرُ الأُعطيـــات
روحٌ وقلـــبٌ قـــد تعبـــأ بالحنـــان

❁

يـــاأنـــتِ حـــار الوصـــفُ فيـــك مـــع الصـــفات
وعليـــكِ لســـنا نرتضـــيْ ذلَّ الرهـــان
لـــكِ أنـــتِ تغفـــو في القلـــوبِ الـــذاهلات
توليفـــةٌ فيهـــا الـــورود مـــع الســـنان
يـــا قـــدسُ ســـيف الحـــقّ أُشـــهرَ لا ســـبات
حـــتى نبـــدِّدَ كـــلَّ لحظـــاتِ الهـــوان

غزة في: يونية ٢٠٠٩م

لمَّا أطلت !

كالعيدِ طلت من بعيد
كالعرسِ يصحبُهُ النشيد
كالنورِ يلمعُ في الفضا
كالوردِ ينضحُ بالرضا

طلت...
وليت القلب لم يرها،
وليت الروح لم تعشق خواطرها،
كسلسلة من الأزهار زينتِ المواضي
كريح المسكِ يعبقُ في الطرائق والأراضي
كدرعِ الفخرِ وشحت الصدور
كبدرٍ لم يحالفه الظهور

طلت...

وهمُّ القلبِ زاد!

تبريحُ حِبٍّ وابتعاد،

لمَ يا زمان نفيتها، ونفيتني خلف الزمن؟

ليت القصيد يجيد وصف لقائها،

أو ليته يأتي بحقٍ ما حوى قلبي لها

يا ساكناً باب المدينة،

هل تعدد لي صنوف المارقينَ إلى هناك

أم هل تناديني بوقتٍ ليس فيه ببابها وحشٌ فأدخلَ كي أطوفَ رحابها،

لو مرةً يا ساكناً باب المدينة نادني!

إنِّي نزفت هنا كثيراً من أمانٍ غائبة،

وقلعتُ شوكاً كان يدمي كلَّ إحساسٍ يمرُّ ببابها،

ها قد نطقتُ بلوعةٍ عشق اسمها،
وحرقت كل نقوشهم بالبابِ،
منعٌ، وانتظارٌ، واحتراق!

يا ساكناً باب المدينة،
قاطناً روحَ المدينةِ... بائعاً حبَّ المدينة،
اليوم أعرف كيف تسكنُ بابها،
اليوم أعرف كيف تنعم أنت وحدك عندها،
واليوم أكشفُ خبثك المسطور في صفحاتها!
اليومَ يا هذا...
سأطرد وجهكَ الثاني ليفرح قلبُها،
خذ كلَّ ما لكَ في ثرى أعتابها...

الحبُّ يا هذا، مثيلكَ ليس يفهمُ طعمّهُ!
والمارقون بأرضها، لابدَّ يوماً يُطردون!
تنفيهمُ الدمعات، يسكبها فؤادٌ عاشق...
تنفيهم القطرات، تُنزَفُ من جراحٍ غائرة...
وإلى المنافي يرجعونَ، ويأخذون جميع من لبسوا ثيابهمُ زماناً، يأخذون رؤوسهم وذيولهم!

وهناك يا هذا سأبقى
أبقى أنا، ومعي هنا، كل المدينة بالتفاصيلِ الجميلة
أبقى أنا، في كلِّ ليلٍ مقمرٍ...
أتلو لها أسماء عشاقٍ قضوا، من أجلِ لمحةِ جفنها!
أسماءَ أبطالٍ تنادوا للجهادِ بساحها،
أتلو لها بيتاً من الشعرِ الثقيلِ، قرأتهُ ما بين أوراق الحراسة!
وأبوح بالأحزان، والأفراحْ...

أحكي لها، عن كلِّ لحظاتِ الزمان...
كيف انتقيتُ رفيق دربي إذ مشيتُ لأنعشَ الحلمَ البريء بروحها،
ولأنفض الألم الدفين بقلبها!

في يومها
يا ساكناً باب المدينة، لن أراك!
ستكونُ أنت ومن تهاوى في هواك...
خلف الحياةِ وخلفَ أحداثِ العراكِ!
وهناك يا هذا أراك،
والدمُّ يقطر من جراحكَ، من رؤاك!

وأبوح بيني والحبيبة بالخبر
فأقرّ عين فؤادها، وأريح عيني بالنظر!

يا قدس شاه الوجه وانفضحوا...

وعرائسُ الأفراحِ تُمتدحُ،

قومٌ من الأقطارِ قد نزحوا،

واستوطنوكِ، وفيكِ ما برحوا!

اليومَ أطردهم،

وأحيى فوق أرضكِ فرحتي،

وعلى ترابكِ سوف أطبعُ قبلتي،

وعلى جداركِ سوف أنقش قصتي،

نقشاً يهدئ لوعتي...

عهداً ستبقى،

القدس لي،

وأنا لها

!

غزة في:

الجمعة ٢١ مارس ٢٠٠٨م

على.. أسوارِ القدس

على أبوابها انتفضت حروفي،
"مواويلاً" أغنيها لديها
إلى دمعاتها امتدت كفوفي،
لتمسح بالمحبةِ وجنتيْها
نفضتُ البؤسَ عن وجهِ الأماني،
ورحتُ أطوفُ مرتحلاً إليها
أيا قدساهُ ضمي قلبَ صبٍّ،
يتوق ولا يتوق سوى إليها
و"بوسي" روحه أمسى حزيناً،
يذوب برفَّةٍ من ناعسيها
سيحمل روحه في راحِ كفٍّ،
يهيم على الزمانِ بناظريها

على أعتابِ باب القدس...

ألمحُ بارقاً يلمع

ستشرق شمس عزتها،

على الدنيا، غداً تسطع

وألمح عنده جسداً،

توشَّحَ بالهوى الأروع

وعذراءً تقطَّعَ ثوبُها صرخت:

بصوتٍ ملَّهُ المسمع!

فقد صُمَّت أذانيهم،

وناح عليهم المَرْبَع!

❁

على دمعاتِ حزن القدسِ،

يحنو القلبُ ملتاعاْ

وفي أهدابها اجتمعتْ،

صنوفُ الحزنِ أوجاعا

وملء فؤادِها ألمٌ،
وفيه الهمُّ قد شاعا
أيا قدساه لا تَهِني،
فإنَّ الحلمَ ما ضاعا!

❁

على أنغامِ شدوِ القدسِ،
ينهضُ حزنيَ الباقيْ
تزيدُ إليهِ أشواقي،
فتحرقُ كلَّ أوراقيْ
تطالُ ظِلالَ وجدانيْ،
وتعصرُ دمعَ أحداقيْ
وينهكُ جسميَ المذبوح،
يهيمُ لأجلِ ترياقِ

❁

على ترتيلِ اسمِ القدسِ،
تخشعُ كلُّ أضلاعي
أقبِّلُ اسمها الغالي،
وأخفيْ وجهَ أوجاعي
كأنَ القدسَ تأتيني،
تنادي: "أيّ ملتاعِ
تعالَ إليَّ عانقني،
ففي زنديكَ إمتاعيْ"!

❁

على أشواق قلب القدس،
يسدلُ ستره الوجد
ويبدأ مسرحُ الكيدِ،
الذيْ يسعى لهُ الحقدُ
وخلفَ البابِ أدمعها،
يملُّ مسيلها الخدُّ

فتصرخُ ملء نكبتها،

تُرى يتفتّتُ الوعدُ؟

❁

على أسوارِ طهرِ القدس،

يبهتُ لونُ أسفاري

فلا أمضي ولا يمضي،

زمانٌ دونَ تذكارِ

ولا أرسو ولا ترسو،

بوجهِ الموجِ أفكاريْ

فتحيا القدسُ في لغتي

تزينُ كلَّ أشعاريْ!

يونية ٢٠٠٩م

فهرس

العنوان	رقم الصفحة
مقدمة	٩
الوجع الجميل: لها تراتيليْ	
صباحنا وطن	١٥
قتل القمر	٢٥
أنَّات صامتة	٢٨
النزوح إلى السماء	٣٣
لوحة لإعدام النقاء	٤٠
لفارس اللحن.. ينسكبُ الرثاء	٤٤
أيناك شيخي	٥٠
سجين.. وقلب أمّ	٥٦
ليلٌ .. وألف ترتيلة	٦٠
بين داليتين	٦٣
تحت أنقاضك يغفو الفؤاد	٧١
فصول	٧٥

طرحة حمراء ٨٢
شمعة في الفؤاد.. ودمعة في البلاد ٨٩
نقشٌ على باب مغلق ٩٢
سيأتي العيد... ٩٩
تعذيب الرغدِ.. وموت الحلم ١٠٢
على ثغر جريحة ١٠٥
للجرحِ .. في روحي صهيل ١٠٩
بكِ أنت.. يليقُ طوقُ الياسمين ١١٢

في حضرةِ الطهارة: تراتيلٌ للقدس

أغنيةٌ للقدسِ ١٢١
عرسُ البَتُول ١٢٤
لمَّا أطلت ١٢٦
على أسوار القدس ١٣٢

الفهرس ١٣٨

~

ثمَّ

بحمد الله

من إصـدارات

رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين

الإصدار	المؤلف
• رواية البيارة الضائعة	أ. نـــاهض الريـس
• الرنتيسي إنساناً وقائداً وشاعراً	أ. د. عبد الخالق العف أ. رشـــا العدلوني
• دراسات في الشعر الفلسطيني المقاوم	أ. د. عبد الخالق العف
• آتيكم بقبس	أ. يونـــس أبو جراد
• في كل سنبلة	أ. محـمد أبو نصيرة
• اليوم الدراسي النكبة مأساة أرض وعودة	مجموعة من الباحثين
• دم الزهور	أ. د. محمد الأغـــا
• مجموعة سقف الذهول	أ. سهيل أبو زهير
• ديوان أسطول الحرية	مجموعة من الشعراء
• ديوان بوح البدور	أ. سناء الكباريتي
• ديوان دموع بلا عيون	د. عبد الفتاح أبو زايدة
• ديوان على صهوة الماء	مروان جميل محيسن
• تاريخ فلسطين في أواسط العهد العثماني	د. عصام ناجي ســيسالم د. زكريا إبراهيم السنوار
• من الأعماق	أ. محمود سعيد عزام

هل يا ترى
غفت الجميلة لحظة
لما تعثرَ وجهها بظلام وجهِ الليل
أم أنها هامت تلملمُ جرحها
حتى انحنى ظهر التصبرُ
فارتمت ما بينَ زنبقتين ذابلتين
لتموت فوق ركامها اللحظات
يوم يسطرُ الحبُ انتصارا
في حجيرات الفؤاد!
ويضمُها.. وطنٌ تدفأ بالقصيد

من إصدارات
رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين